

التاريخ : 25/8/2020- آخر تحديث : 2:02

مذكرات الماريشال ليوطي عن المغرب 23 / قلق مولاي يوسف من محاولة تعديل اتفاقية الحماية

أواصل هنا، في هذه الفسحة الجديدة، الخاصة برمضان 1438 (الموافق لسنة 2017)، ترجمة مذكرات الماريشال ليوطي، الخاصة بمهامه في المغرب. بعد أن ترجمت منذ سنتين أجزاء كبيرة منها ممتدة بين سنوات 1912 و 1917. وهي مذكرات هامة جدا، كونها تعنينا كمغاربة، كونها تقدم لنا معلومات دقيقة عن كيف تشكل المغرب الحديث بعد احتلال فرنسا وإسبانيا لبلادنا، إثر توقيع معاهدة الحماية يوم 30 مارس 1912، والتي مرت عليها الآن 105 من السنوات.
وأهمية هذه المذكرات، كامنة، ليس فقط في كونها وثيقة تاريخية، بل أيضا في كونها كتبت من قبل صانع قرار، لم يكن عاديا قط في تاريخ المغرب الحديث، أثناء وبعد صدمة الإستعمار، الماريشال هوبير ليوطي، أول مقيم عام لفرنسا بالمغرب.
لقد جاء إلى المغرب بعد سنوات قضاها في مدغشقر ثم بالجنوب الغربي للجزائر عند منطقة بشار، وبعدها بمدينة وهران بالجزائر، ليمارس مهام المقيم العام بالرباط ل 14 سنة كاملة. وهي أطول فترة قضاها مقيم عام فرنسي بالمغرب. ليس

هذا فقط، بل أهميتها التاريخية أنها كانت مرحلة تأسيسية لشكل الإستعمار الفرنسي في إمبراطورية كان لها منطقها الدولتي في التاريخ، في كل الشمال الغربي لإفريقيا، هي الإمبراطورية الشريفية المغربية. وأن كل أساسات الدولة الحديثة المغربية قد وضعت في تلك المرحلة، على مستوى إعداد التراب، أو التنظيم المالي، أو القضاء، أو التعليم أو الفلاحة أو المحافظة العقارية أو الجمارك. ومن خلال ما دونه في مذكراته نتتبع بدقة كيف ولدت كل تلك الترسانة التنظيمية للدولة المغربية الحديثة، بلغة صاحبها التي لا تتردد في وصف ذلك ب «العمل الإستعماري»، المغلف بالدور الحضاري. وهي شهادة فيها الكثير من جوانب الجرأة الأدبية التي تستحق الإحترام. ثم الأساسي، أنه كرجل سياسة كتب شهادته وأرخ للأحداث عبر مذكراته الخاصة، من وجهة نظره، ولم يلذ بالصمت، بل كان له حس تأريخي، يتأسس على إدراكه أنه يسجل كلمته للتاريخ.

لقد صدرت هذه المذكرات أول ما صدرت سنة 1927، أي سنة واحدة بعد مغادرته المغرب (بقي مقيما عاما بالمغرب من 1912 إلى 1926). ثم أعيد نشرها سنة 1944، في طباعة رابعة، قبل أن يعاد نشرها من قبل كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 2012، إحياء للذكرى 100 لاختيار الرباط عاصمة للمغرب.

لنستمع لصانع من صناع التاريخ المغربي الحديث والمعاصر، كيف يروي قصة الأحداث من وجهة نظره. أو كما قال الزعيم اليساري الفرنسي فرانسوا ميتران عن مذكراته الخاصة هو: «هذه هي الحقيقة من الجهة التي كنت أنظر منها». أي أن للحقيقة دوما جهات أخرى للرؤية والنظر، يكملها عمليا المؤرخون.

الرباط: 7 دجنبر 1919الرباط: 7 دجنبر 1919

تم استقبالي من قبل السلطان (مولاي يوسف)، حيث قدمت له رسالة شكر من الحكومة الفرنسية، على دعمه ومساعدته لنا. مؤكدا له أيضا بوضوح مجددا مبدأ الحماية الذي كانت له حوله بعض المخاوف. (وألقيت أمامه الكلمة التالية):«جلالتكم،تغمرني سعادة خاصة، أن أنقل إلى جلالتكم الرسالة التي كلفني وزير الشؤون الخارجية الفرنسية، باسم حكومة الجمهورية (الفرنسية)،. وألتمس منكم الإذن لي بقراءتها أمامكم بصوت عال مسموع:[لقد وضعني الجنرال ليوطي في صورة الحوار الذي جمع جلالتكم معه بعد عودته إلى الرباط. وإذ أشكر جلالتكم على قوة مواقفكم النيرة، التي أبنتم عنها منذ تفجر أزمة العملة، التي لم يكن ممكنا الإفلات منها بسبب الظروف الدولية الحالية. ولقد أخرت، الإجراءات المتخذة بالمغرب، من قبل الحكومة الشريفية، من حدوث تلك الأزمة، محاولة التخفيف من آثارها قدر الإمكان. ولقد أبلغكم الجنرال ليوطي، قبل مغادرته فرنسا، عبارات الصداقة والثقة والإمتنان لجلالتكم، التي عبر له عنها السيد رئيس الجمهورية وكذا أعضاء الحكومة.وإني أحرص، هنا، شخصيا، على أن أجدد لجلالتكم، التوضيحات والتطمينات التي ما لبث يتلاقاها من حكومة الجمهورية بخصوص نظام الحماية، الذي تضمنه الإتفاقيات، المتأسسة على سيادة جلالتكم وعلى دور المخزن، مع الحفاظ على المؤسسات التقليدية للإمبراطورية الشريفية، واحترام المغاربة. إنه من خلال، الإطار الواضح لهذه المؤسسات الخاصة، سيواصل المغرب بشكل أفضل تنميته المادية والإجتماعية، أمنه وقوته، وسيتوحد أكثر مع فرنسا الذي تربطه به علاقات متينة، صنعها السلم مثلما صنعتها الحرب].إن هذه العبارات، تأتي لتعزز بشكل واضح وصارم، موقف حكومة بلدي العظيم، والذي كان لي شرف توجيهه إليكم بعد عودتي (من فرنسا). لقد تم التأكيد على أنه ضمن هذا الإطار الواضح للمؤسسات الخاصة سيتمكن المغرب من التقدم بشكل أفضل. ولقد حرصت حكومة الجمهورية، بشكل نهائي، وضع حد لكل نقاش أو سوء فهم أو شك في ما يتعلق بأساس نظام الحماية ومستتبعاته.ليتيقن جلالتكم، ومخزنكم وشعبكم، باطمئنان وثقة، من احترام نظام مؤسسات إمبراطوريتكم، التي لي المسؤولية الكبرى لضمان حمايتها إلى جانب جلالتكم. وثقوا أنها المهمة التي سأنجزها كاملة.«

الرباط: 1 يناير 1920بسبب الأزمة العالمية الخطيرة، والجهود والتضحيات التي تستوجبها، كان لزاما علي التذكير بالوضعية العامة وخطورة الأزمة الإقتصادية والإجتماعية منذ الحرب (العالمية الأولى) للمعمرين الفرنسيين بالمغرب. فوجهت إليهم هذا النداء، من خلال كلمة ألقيتها في حفل استقبال لهم بالرباط، لبذل مزيد من الجهد والتضحيات، مع الحرص على الإنتصار دوما للمصلحة العامة، بدلا من الحسابات الخاصة والشخصية. فكانت هذه الكلمة:«أشكر السيد أوربين بلون والجنرال كوتيز، على جميل عواطفهم التي عبروا عنها، باسم موظفي الحماية وجسم الإحتلال.ومع مطلع هذه السنة الجديدة، أود أن أذكر السيد بلون، بمدى امتناننا في المغرب، ونسعد بقيمة ما ينجزه من عمل، بفضل غنى تجربته وحنكته المجربة. وأيضا إلى الجنرال كوتيز، مدى تقديري للدعم الذي يقدمه لي بالقيادة، بضمير مهني عال. وفي غياب السيد بيرنودا (عميد المعمرين بالرباط)، الذي نأسف له، بسبب أوضاع صحية لبعض من أقاربه، فإنه كان طبيعيا

أن المؤهل للحديث باسم المعمرين الفرنسيين بالرباط هو السيد بوتي، الذي أشكره على طاقته الإيجابية التي أبان عنها دوما في دفاعه المستميت عن مصالحكم. وما تفضل به من كلمات تقييمية للمنجزات المتحققة خلال هذه السنة، تشرفه عاليا. لأن تلك المنجزات، هي الدليل والضمانة الراسخة على إرادتنا على إنهاء، في أسرع وقت ممكن بشكل جيد، ما أشرتم إليه من مشاريع والتي نلتزم بها كاملة.إنني أريد أن أحتفظ من كلمات السيد بوتي، عبارة: «أكثر حبا»، التي حرص على تخصيصي بها. حقا، علي بحكم مهامي ومسؤولياتي، أن أترفع عن كل مقاربة عاطفية، وأن أرتقي إلى ما يفرضه علي ضمير تلك المسؤولية، مخافة السقوط في اللاشعبية. لكنني لا أخجل من أن أعلن أنه كم هو ممتع الإشتغال ضمن جو للرفقة والتقدير، الذي يسرع ويسهل من إمكانية الإنتاج والعطاء بشكل أسلس ومخصب. وإن روح هذه العواطف الجياشة التي حملتم معكم إلى هنا بدار فرنسا المفتوحة أمامكم، استتشعرتها دافئة وأشكركم عليها. وضمن أجواء الثقة والجدية هذه، أتوجه لكم بكلمتي، بصفتي رئيس الحكومة، مع مطلع السنة الجديدة، أنتم كل فرنسيي المغرب، سواء من الدار البيضاء أو الرباط وباقي البلاد، معمرين وإداريين وموظفين وجنود.علينا أن نخفي عن أنفسنا، أن السنة الجديدة ستكون صعبة أكثر من غيرها. فكل المشاكل، وأصعبها، تطرح أمامنا دفعة واحدة، ليس في المغرب فقط، بل في باقي العالم. وليس في نيتي، هنا، أن أقدم أمامكم عرضا حول الوضعية العامة. فاطلاعكم على الصحف الفرنسية والأجنبية، ينوركم في هذا الباب. وأيضا من خلال ما يصلكم من مراسلات، وأيضا من خلال الإنطباعات التي يعود بها كل من زار فرنسا. فالعالم في حالة تحول وثورة، وإن كان ذلك ليس بالمعنى السياسي، فإنه بالمعنى العام للكلمة. ولقد علمتنا دروس التاريخ، أن من يعيشون الأحداث التراجيدية، هم أقل من يدرك أهميتها البالغة. لقد قرأنا بعض مذكرات نهاية القرن 18، حيث نجد أناسا طيبين يمارسون حياتهم بشكلها العادي، اليومي، لأنه لاشئ تغير في محيطهم العائلي الضيق، بينما حركة التاريخ تفعل فعلها فوق رؤوسهم.إني متأكد، أنه لو وقعت مذكرات ويوميات بعض من رومان القرن 5، بين أيدينا سنجد فيها تفاصيل للحياة اليومية العادية، بينما في الجوار كانت تحدث واحدة من أعظم ثورات التاريخ بالعالم، المتمثلة في انهيار النظام العالمي القديم وميلاد نظام عالمي جديد. والحال، كيف كان العالم المكتشف المعروف حينها؟. إنه لا يشكل سوى العشر من مجموع الكرة الأرضية. بينما اليوم، فإن الهزة قد شملت كل الكرة الأرضية، التي غيرت كل مناحي الحياة بها، وولدت نظاما جديدا وأنهت توازنا علينا انتظار سنوات قبل أن تستقر الأوضاع بعده.(يتبع)

الكاتب : إعداد: لحسن العسبي

بتاريخ : 22/06/2017

أخبار مرتبطة